نظرية التجلي وجينيالوجيا فلسفة الاختلاف
في فكر الأمير عبد القادر الجزائري
***

أ. حمو فرعون*

توطئة**

حتى وإن كانت نظرية التجلي الصوفية لها خُصوصيتها الغيبية وطابعها الماورائي اللاهوتي اللافت، إلاّ أن نتائج هذه النظرية على الصعيد الإجرائي العملي هي نتائج واعدةٌ رائدة، تَسعى البشريةّ غربًا وشرقًا بحثًا عنها، لتأصيلها ولتحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع، والظاهر أن جيلنا لازال كما وصفه الأستاذ مالك بن نبي بلغته الصريحة الواضحة "الجيل السيئ الذي يختم طور التَحَلُل الذي ألَمَّ بالحضارة الإسلامية، ويأذن لعصر جديد يختلط فيه نوعان من العفن: الاستعمار والقابلية للاستعمار"[1]، أو هو بتشخيص وتَنبيه الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي Roger Garaudy عصرُ التدمير أو الحوار، "عصرنا حيث تتوفر للبشر الإمكانية التقنية لتدمير الإنسانية، لم يعد أمامنا خيار، إلاّ بين تدمير متبادل، وبين الحوار... ويهدف الحوار إلى اكتشاف مشترك للقيم المطلقة التي يمكنها وحدها في المرحلة الراهنة أن تسمح لنا بالتَفلُّت من الأدغال الانتحارية، من غابات الفرديات والقوميات ومن عصبيات المعتقدات أو الحزبيات... لكن لن يكون هناك حوار حقيقي، ما لم يقتنع كل منا بأن عليه أن يتعلم شيئا من الأخر، وبالتالي ما لم يكن مستعدا لإعادة النظر في معتقداته الخاصة به"[2]. وبمقدار ما عاد المقدس الديني إلى الظهور والتفاعل، زاد المدنس السياسي في التوظيف والاستغلال، وأضحى التعايش بين الأديان والطوائف والأحزاب، بل وبين الثقافات والحضارات صعبٌ مستصعبٌ، والأخطر من ذلك، أن منسوب اليأس في الفكر البشري وصل إلى عتبة التنظير والتبرير لفكرة صراع الحضارات ونزاع الثقافات[3].

وحينما تُذكر نظرية التجلي الصوفية يَقفزُ إلى الواجهة اسمُ مُعلمها وأستاذها الأكبر الشيخ محيي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي (560هـ 1165م-638هـ 1240م)، الذي عَدَّهُ المتخصص في تاريخ

---

* - باحث بجامعة تلمسان.

** -Abstract: The great challenge of this thesis is to try to carefully study and establish an inventory on the curves of the "theory of revelation" anthropologically, epistemologically and theologically, leaning on the meaning, the term, concept and illustration, on the basis of the intellectual paradigm promoted by Emir Abdelkader Adjazairi.- The biggest goal is to try to discover the conceptual core and reveal the black box of the personality of Emir Abdelkader Adjazairi (through his attitudes and his life), which is none other than the Ibn Arabi's "Sufi doctrine of revelation", according to the findings of this study.

[1]- مالك بن نبي، العفن مذكرات، ترجمة: نور الدين خندودي، الجزء الأول (1932-1940)، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2007م، ص14.

[2]- روجي غارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، دار عام الفين، باريس، 2000م، ص 135.

[3]- ينظر إلى كتاب:

Samuel Phillips Huntington, le Choc des civilizations, édition Odile Jacob, 2007.

الأديان والمعتقدات مرسيا إلياد Eliade Mircea "واحدا من العبقريات الأكثر عمقا بين الصوفيين، وواحدا بين الوجوه الأكثر تفردا في التصوف العالمي"[1]، وعَدَّهُ الباحث الجزائري محمد شوقي الزين، خاتمة الميتافيزيقا الإسلامية، مثلَما كان هيغل هو خاتمة الميتافيزيقا الغربية، وحينما يُذكر ابن عربي يَقفزُ أيضا إلى الذهن اسم شارحه، ومترجمه، وناشر تراثه، وطابع كتبه، ومسوق علومه، إنّه الأمير عبد القادر الحسني الجزائري.

الأمير الجزائري الذي أفرد له الخبير في الأنتروبولوجيا الدينية برينو اتيانBruno Etienne كتابًا مستقلاً، صرَّح بعد دراساته المستفيضة العميقة لتفاصيل حياته قائلا: "في عصر كان فيه هيغل Hegel يحاول أن يضع الخطوط الأولى لنظرية الدّولة، وكانت الأُمّتَان الألمانية والإيطالية، تفتشان عن هويتهما عبر سير الأبطال والأوبيرات، تمكن سلطان صغير (يقصد الأمير عبد القادر) في سهل غريس (بمعسكر-الجزائر) من أن يؤسس دولة حديثة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره"[2]، كما لم يتطرق الشك إلى عقل هذا الباحث الأكاديمي الكبير برينو إتيان على الاعتقاد "أن الرجل المرسل للقرن التاسع عشر[3] هوالأمير عبد القادر وتتّضح المفارقة في حياة هذا الرجل العظيم، الذي كان في آن واحد قديساً، وعالماً، وشاعراً، وبطلاً، فضلاً، عن صفاته المشهورة عسكريًا ورجل دولة"[4].

ويبدو أن الأمير عبد القادر الجزائري لا يزال رمزا فاعلاً وازنا في المخيال الشعبي الجزائري والإسلامي والعالمي، ونموذجًا قياديًا نمطياً في المجال السياسي والعسكري.

لقد كان الأمير صاحب رؤية فكرية، وصاحب منظومة قيمية أخلاقية صوفية، رفعها كشعارات واستطاع إلى حدّ كبير تحريكها عمليًا وإجرائياً في واقعه السياسي والاجتماعي، كما أنتج الأمير عبد القادر نصوصًا شديدة الإغراء، اعتبرها بعض الباحثين بحق منجما عرفانيا معرفيا ضخما، فيها إيجاباب وافية كافية لأغلب الأسئلة الوجودية المتعلقة بالله والإنسان والعالم.

ومشروع الأمير عبد القادر النظري يدور كله حول عقيدة التجليات، فهذه العقيدة هي التي صنعت حياته كلها، وهي التي أوجدت جميع مواقفه السياسية والعسكرية والإنسانية، ولعلّ استنطاق واستثمار هذه النظرية قد يشكل أرضية أنثروبولوجية تأسيسية تساعد على الخروج من نفق مشكلة الهويات المغلقة التي تعيشها البشرية في الوقت الراهن، وتؤسس لفلسفة في الاختلاف انفتاحية تسامحية عابرة للإيديولوجيات والمذاهب والتيارات والديانات.

---

[1]- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى، 1986م، ج3، ص 152.

[2]- برونو إتيان، عبد القادر الجزائري، ترجمة: المهندس ميشيل خوري، دار الفارابي ANEP، الطبعة الثانية، الجزائر، 2001 م، ص167.

[3]- يشير برينو إتيان إلى الحديث الشريف الصحيح الذي يقول فيه رسول الله: "أن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها..". أنظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل الهراس، دار ابن عفان، 1423 هـ 2002م، ص 48.

[4] - برونو إتيان، عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص11.

قال الأمير الجزائري مشيرا إلى عقيدة التجليات الحِبيّة الجامعة، وعلاقتها بفلسفة الاختلاف عنده[1]:

أنا الحب والمحب والحب جمـــلة	**أنا العاشق المعشوق سرا وإعلانا**
ففي أنا كل مـا يـؤملـه الورى	**فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا**
ومن شاء توراة ومن شاء إنجيـلا	**ومن شاء مـزمارا زبورا وتبـيانا**
ومن شاء مسجـدا يـناجيه ربـه	**ومن شـــاء بيعة ناقوسا وصلبانا**
ومـن شاء كعبة يقـبل ركنـها	**ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا**
ومن شاء خلوة يكن بها خالـيا	**ومن شـــاء حـــانة يغـــزل غزلانا**
ففي أنا ما قد كان أو هو كائن	**لقد صح عنـــدنا دليلا وبرهـــانا**

وقال أيضا[2]:

أنا العابد المعبود في كل صورة	**فكنت أنا ربا وكنت أنـــا عـبدا**
فطورا تـراني مسلما أي مسلم	**زهودا نسوكا خاضعـــا طالبا مدا**
وطورا تراني للكنائس مسرعا	**وفي وسطي الزنـــار أحكمته شدا**
أقـول باسم الابن والأب قبلـته	**وبالروح روح القدس قصدا لا كيدا**
وطورا بمدارس اليهود مدرســا	**أقـــرر تـوراة وأبـدي لهـم رشـــدا**
فما عبـد العزيـر غيري عـــابد	**ولا أظهر التثـليث غـيري ولا أبـدا**
أنا عين كل شئ في الحس والمعنى	**ولا شئ عيني فاحذر العكس والطردا**

معاني نظرية التجلي إيتيمولوجيًا، وتيولوجيًا وصوفيًا:

أولاً: التجلي، إيتيمولوجيا: تكاد مصادر اللّغة العربية، ومعاجمها، وقواميسها[3] تجمع على إعطاء معنى متقارب لكلمة التّجلي ففي لسان العرب لابن منظور تأتي كلمة التّجلي والجلاء بمعنى الخروج، النّفي

---

[1]- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق: عاصم الكيلاني، دار الكتب العلمية،2004 م، 1425هـ، ص 38.

[2]- المصدر نفسه، ج 1، ص 36.

[3]- اخترت هنا مصدرين مهمين من مصادر اللّغة العربية لتوضيح معنى التّجلي إيتيمولوجيا، أوّلاً، كتاب ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1994م، 15 مجلدا، مع3 مجلدات للفهارس. وثانياً، كتاب العين، لأبي عبد الرّحمن الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدّكتور مهدي المخزومي، والدّكتور إبراهيم السّامرّائي، دار الهلال، 8 أجزاء.

الطّرد، التّفرق، الظّهور، الحقيقة، الخبر، اليقين، نقيض الخفيّ، الوضوح، الإيضاح، الإظهار، الصّقل، العطاء، النّظر، الصّحو، الضّياء[1]، كما يَنسب ابن منظور الاعتقاد بالتجلي والظهور والإبانة إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ثانياً: التجلي، تيولوجيًّا: ورد ذكر لفظة "التجلي" على اختلاف مشتقاته في القرآن الكريم أربع مرّات، في:

- في سورة الأعراف:
- في الآية 143: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسى صَعِقًا﴾
- في الآية 187: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾
- في سورة الحشر، الآية 3: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾
- في سورة الشّمس، الآية 3: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾
- في سورة اللّيل، الآية 3: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾

ففي الآية الأولى، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسى صَعِقًا﴾، ومنطوق هذه الآية ومفهومها وظاهرها يدل دلالة واضحة لا لبس فيها، على أنّ الله تعالى تجلّى للجبل، وهذه الآية الكريمة تؤصل من حيث المبدأ لعقيدة التجليات الصوفية، ويقول الإمام الحافظ النوويُّ "التجلّي: هو الظهور، وإزالة المانع من الرؤية"[2].

أما في السنة، فقد جاء في صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، عن أبي هريرة أن النّبي عليه السّلام قال: "فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا فإذا جاءنا ربّنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته الّتي يعرفون، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربّنا فيتبعونه، .. ثم يتجلّى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النّار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله"[3].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد التّاسع، دار صادر، بيروت 1300هـ، ص240.

[2]- أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ، ج13، ص54.

[3]- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: 1414هـ/ 1993م، ورواه الإمام احمد في مسنده رقم الحديث: 7727، ورواه ابن القيم في زاد المعاد، 1/396، رواه الطبراني في المعجم الأوسط، وأبو عاصم في كتاب السنة، والدار قطني في كتاب الرؤية، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنّة منزلة فيها، عن جابر بن عبد الله أن النّبي ﷺ قال: "ثم يأتينا ربّنا بعد ذلك فيقول من تنظرون؟ فيقولون ننظر ربّنا، فيقول أنا ربّكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك"[1].

ثالثا: التجلي، صوفيًّا: تجلّى الشّيء انكشف واتّضح، والتجلي في الاصطلاحات الصّوفية هو إشراق ذات الله وصفاته، أو هو "ما ينكشف للقلوب من أسرار الغيوب"[2]، وعرّفه إمام الصوفية الجنيد البغدادي ببعده الأخلاقي التربوي، فقال: بأنه التهذيب للخواص[3]، والتجلي عند كبير مؤرخي الصوفية السّراج الطّوسي "هو إشراق أنوار، وإقبال الحق على قلوب المقبلين عليه "[4]، وعند أبي بكر الكلاباذي "هو رفع حجبة البشرية، لا أن تتلوّن ذات الحق جل وعز عن ذلك، وعلا"[5]، ويقول عنه الإمام القشيري "التجلي هو إشراق أنوار الحق على قلوب المريدين"[6]، أما العارف الشّيخ عمر السّهروردي فعنده "التجلي هو إشارة إلى رتب الحظ من اليقين، ورؤية البصيرة"[7]، ويقول الشّيخ زكريا الأنصاري "التّجلّي ظهور الذّات في حجب الأسماء، والصّفات تنزلًا"[8]، ويقول الصوفي أحمد بن عجيبة الحسني: "التّجلّي عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه، وهذا قبل الرّسوخ وأمّا بعد الرّسوخ فلا غيبة له"[9]، وعند الشّيخ أبي العباس التجاني "التّجلّي عبارة عن ظهور الحق سبحانه وتعالى"[10]، أما التجلي عند حجة الإسلام أبي حامد الغزالي فهو الرؤية، يقول: "ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلى المرآة بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلى هي التي تسمى رؤية، فإذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه

---

[1]- مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1374هـ، ج4، ص454.

[2]- أحمد العايدي وآخرون، المعجم العربي الأساسي، طبعة لاروس، تونس (1419هـ-1999م)، ص 258.

[3]- عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، عوارف المعارف ملحق بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، هـ1407/1987م، ج 5، ص 249.

[4]- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 363.

[5]- أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، قدم له وحققه: محمود أمين النواوي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ، 1992م، ص 122.

[6]- أبو القاسم القشيري، أربع رسائل مخطوطات نادرة في التصوف، تحقيق: د. قاسم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 16، 1969م، ص 53.

[7]- عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، المرجع السابق، ص101.

[8]- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة، ص 66.

[9]- أحمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد الله العتم، عالم الكتب للطباعة والنشر، 2008م، ص 36.

[10]- علي حرازم ابن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية،1997م، ج 1، ص 22.

في الآخرة كذلك"[1]، وعند الباحثين المتخصصين في النص الصوفي، فإن التجلي ليس هو إلا التحول الإلهي في الصورة الوارد ذكره في النصوص الدينية الصحيحة قرآنا وسنة، تقول الدّكتورة سعاد الحكيم: "التّجلي بتعريف عام هو مبدأ التغيّر في المتجلى له، ينقله من حال إلى حال"[2]، يقول الباحث محمد غازي عرابي: "التّجلّي بدء الإذن الإلهي بالتحرّك، وهو الاصطفاء الربّاني للعبد، ليكون من ذوي الخطوة، والدّخول في الخلوة حيث يقع التّجلّي الذّاتي"[3].

نظرية التجلي أنتروبولوجيًّا:

الطريف المدهش أن يلتقي هذا التصور الصوفي لنظرية التجلي من بعض وجوهه مع تصور الأنتروبولوجي الكبير كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss، الذي صرّح مرة "ليس عندي أي مانع أو اعتراض على تسمية أو تعريف الله، ما يشبه فكرة منتشرة وموزعة بحيث نتصوره متجلي في الكون كله، وأنه يظهر بدرجات مختلفة في الحيوانات العليا أو الدنيا وحتى النباتات المتواضعة منها"[4].

ويقترح مؤرخ الأديان مرسيا إلياد مصطلح Hiérophanie لإيضاح مفهوم التجلي ويشرحه بقوله إن: "المقدس (الله) يظهر نفسه لنا، ويمكن القول أن تاريخ الأديان ومن أكثرها بدائية إلى أحسنها إعدادا، إنما هو مشكل بتراكم مقدسات وبمظاهر وقائع مقدسة، ومن أكثر التجليات بدائية على سبيل المثال إظهار المقدس في موضوع ما حجرة أو شجرة، وحتى التجلي الأعلى، فهو بالنسبة للمسيحي تجسد الإله في جسد المسيح، ولم يوجد حل للاستمرارية فهو دوما التصرف الغامض ذاته: إظهار لشيء ما - من كل أخر- ولحقيقة لا تنتمي إلى عالمنا في موضوعات تشكل جزءا لا يتجزأ من عالمنا الطبيعي والدنيوي، ويظهر الغرب الحديث بعض عدم الارتياح تجاه بعض أشكال مظاهر المقدس، فمن الصعب عليه القبول، أنه بالنسبة لبعض الكائنات البشرية يمكن للمقدس أن يظهر نفسه في حجارة أو أشجار، وعليه وكما سنرى بعد قليل، إنه لا يتعلق الأمر بتمجيد حجر ولا شجرة وإنما الكائن المطلق"[5]، ويضيف مرسيا إلياد: "بالنسبة لمن لديهم تجربة دينية تبدو الطبيعة كلها برمتها، إنها قابلة

---

[1]- أبو حامد الغزالي، أحياء علوم الدين، بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص145.

[2]- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلم، دندرة للطباعة والنشر، 1981م، ص 266.

[3]- محمد غازي عرابي، النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1985م، الطبعة الأولى، ص 54.

[4] -Le problème de Dieu ne s'est jamais posé pour moi, même depuis l'enfance. Ce n'est pas le mot qui me fait peur. J'ai le sentiment très profond qu'il ne peut exister un hiatus complet entre la pensée et la vie. Je ne verrais aucun inconvénient à appeler Dieu une sorte de pensée diffuse dont on concevrait qu'elle soit répandue dans tout l'univers et qui se manifesterait à des degrés différents chez les animaux supérieurs et inférieurs, dans les plantes même, jusqu'aux plus modestes. Mais la notion et la représentation d'un Dieu personnel me manquent et me manqueront toujours, sans doute, jusqu'à la mort". (La Croix, janvier 1979)
.http://tela.tiddlyspace.com/Religion.

[5]- مرسيا الياد، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1988، ص 17.

للتكشف بصفتها قداسة كونية فالكون كله في كليته يمكن أن يصبح تجليا قدسيا"[1].

عقيدة التجلي عند الأمير الجزائري

وفي تصنيف وتحديد مواقف الخلق من مسألة التجلي الإلهي يرى الأمير: "أن الناس في تحول الحق تعالى في الصور ثلاث فرق، فرقة تنكره في الدنيا والآخرة، وتؤول الأحاديث الواردة في التحول في الصور إلى أمور تليق بعقولهم وهم علماء الظاهر، وفرقة تنكره في الدنيا وتقره في الآخرة، تفويضا على مراد رسول الله وعلى ما يليق بجلاله تعالى من غير تأويل وهم عامة السلف الصالح، وفرقة تقره في الدنيا والآخرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، ولا تولد مع اعتقاد ليس كمثله شيء وهم العارفون بالله أهل التجلي والشهود في الدنيا"[2]، كما يعتقد الأمير عبد القادر أنّ "التّجلّي في الصّور ثبت شرعا وكشفا"[3]، وأنّ رافضي عقيدة التّجلّيات من علماء الإسلام هم مكابرون ومغالطون لأن "التّجلّي في الصّور واردٌ في الصّحاح صريحا لا يقبل تأويلا إلا لمكابر مغالط"[4]، والأمير يُشير هنا، إلى الأحاديث الصّحيحة الواردة في أوثق وأصحّ كتب أهل السنّة والجماعة، وحتى كبار مراجع وفقهاء الإسلام الّذين لا يؤمنون بعقيدة التّجلّي يضعهم الأمير في خانة العوام "أعني بالعامة المتكلمين في التوحيد العقلي، الّذين منعوا تجلّي الحق تعالى في الصّور"[5]، لأنّ العلم الصّحيح الحقيقي الوحيد، هو علم التّجلّي، وما عداه لا يعتبر علما عند المحقّقين من أمثاله الصّوفية "ولا علم عند القوم إلاّ ما حصل عن تجلّ، فإذا كان العلم حاصلا عن نظر في دليل عقلي، فليس بعلم عند الطّائفة"[6].

و"ليس غرض القوم إلاّ العلم المتعلق بالله الحاصل من التّجلّيات الإلهية، لا العلم الحاصل من طريق العقل والنّظر، فإنّ ذلك ليس بعلم عند الطّائفة العلية، لما يطرأ عليه من الشّبه والشّكوك، فإنّ العلم الصّحيح لا يحتمل النّقيض"[7].

ويقول الأمير: "أعني بالعلم علم القوم رضوان الله عليهم، الحاصل من التّجلّيات الربّانية والإلهامات الرّوحانية، وأمّا العلم الحاصل عن النّظر العقلي بالأدلة الفكرية فمثل هذا لا يسمى عند القوم علما، لتطرّق الشّبه على صاحبه، فينقلب الدّليل عنده شبهة، وقد تكون الشّبهة عنده دليلا وإن وافق العلم، فالعلم الحقيقي باسم العلم ما لا يقبل صاحبه الشّبه، ولا يطرأ عليه تغيير وليس ذلك إلاّ علم الأذواق الحاصل بالتجليات"[8].

جينيالوجيا فلسفة الاختلاف في فكر الأمير عبد القادر الجزائري

---

[1] - المرجع نفسه، ص 19.
[2] - الأمير عبد القادر، المواقف، ج2، ص353.
[3] - المرجع نفسه،ج2، ص347.
[4] - المرجع نفسه،ج2، ص269.
[5] - المرجع نفسه،ج2، ص347.
[6] - المرجع نفسه،ج2، ص383.
[7] - المرجع نفسه، ج 2، ص375.
[8] - المرجع السابق،ج1، ص171.

إذا كانت الجينيالوجيا La généalogie هي محاولة البحث عن الأصل والوقوف عند المصدر، أو هي- على حد تعريف عبد السلام بنعبد العالي- محاولة استذكار لتاريخ الوجود من حيث هو اختلاف منسي، ومن حيث هو نسيان للاختلاف[1]، فإن الأمير عبد القادر الجزائري لم يهتم بأسس الاختلاف والتعدد والتنوع ولا بالتوزيع الإيديولوجي والجغرافي للأديان والحضارات والثقافات بقدر ما حاول اكتشاف البنية الجنيالوجية الجوهرية الأساسية التي أوجدت الاختلافات والتنوعات بين بني البشر والتي تجد كامل تفسيرها في "فكرة التجلي الإلهي".

فإن تعدد الطوائف والملل والنحل والأديان في عقيدة الأمير عبد القادر يشكل مظاهر وتجليات لمعاني الألوهية، والاختلاف الوجودي العقائدي هو انعكاس مباشر لاختلاف تجلى أسماء الله الحسنى وتعددها، ولذلك يقول الأمير: "ولما تعددت ظهورات المقصود بالعبادة (الله) تعددت الملل والنحل"[2]، ويقول: "ولعموم التجلي عبد كثيرون من نار ونور وملائكة وحيوان وشجرة وكواكب فالتجلي الإلهي عام في جميع الموجودات"[3].

ونظرية التجلى بمعناها الصوفي الأكبري، تخترق كل البناء النظري للأمير عبد القادر فبها يفسر كل شيء ففي عقيدة الأمير "كل شيء من الأشياء هو تجل من تجلياته تعالى"[4]. والتجليات عند الأمير تنقسم إلى قسمين اثنين: تجليات وجودية؛ وتجليات اعتقاديه، الوجودية تظهر في الأكوان، والاعتقادية تظهر في الأذهان والأفكار. وعنده التجلي الإلهي كل ما ذكر في القرآن من النزول، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ إِلَيْكُم﴾[5]، أي تجلى إليكم في صور التقييد، والتشبيه، والتحديد، ويقول الأمير عبد القادر الجزائري: "إن أهل هذا اللسان الواقفين في ميادين البيان قسموا التجليات: إلى تجلّ فعلي، وتجلّ أسمائي، وتجلّ صفاتي، وتجلّ ذاتي. فأما التجلي الفعلي فمعلوم، وكذا التجلي الأسمائي، والتجلي الصفاتي، وأما التجلي الذاتي، فإنما يعنون به تجلي الحق – تعالى– للعبد من حيث أنه لا يظهر لذلك التجلي نسبة إلى اسم ولا صفة ولا نعت ولا إضافة، وإنما يعرف أنه تجلي له فقط. ومتى ظهر شيء مما ذكر نسب ذلك التجلي إلى ما ظهر، فالتجلي الذاتي عند الطائفة العلية هو تجلي الذات من حيث الذات الإلهية لا من حيث الذات الأحدية، فإنه محل المحال، ولا يقول به أحد من الناقصين فضلاً عن أهل الكمال، إذ الذات الأحدية هي الوجود المطلق عن الإطلاق والتقييد لا ظهور لشيء معها مما ينافي أحديتها هذا المرادبالتجلي عندهم، وإن كان لفظ التجلي الذاتي ربما يوهم شيئاً خلاف المراد"[6].

كما فَرق الأمير بين التجلّيات الوجودية،والتجلّيات الاعتقادية: فالكون والمخلوقات كلُّها مظاهر

---

[1] - عبد السلام بنعبد العالي، الميتافيزيقا العلم والايدولوجيا، دار الطليعة بيروت، ص 151.
[2] - الأمير عبد القادر، المواقف، المرجع السابق، ج2، ص 116.
[3] - المرجع نفسه، ج 2، ص373.
[4] - المرجع نفسه، ج1، ص 95.
[5] - سورة العنكبوت، الآية 46.
[6]- الأمير عبد القادر، المواقف، المرجع السابق، ج 2، ص 116.

التجلّي الإلهي–هذا التجلّي المستمر والمتبدل بلا انقطاع و"من نظر بعينه المقيدة لا يرى إلا الأشياء المقيدة. .. ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن، وكلها أكوان وحجب، ومن نظر بوجهه –وهو سره – رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء، فإنه لا يرى الله إلا الله ولا يعرف الله إلا الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدركاتها"[1] (44)، وحين يصل العارف إلى مقام المحققين من الصوفية "يحصل على الفناء والمحق، فإنه رجع إلى الإطلاق بعد التقييد ولم يبق له اسم ولا عين ولا رسم... وفي هذا الفناء تحصل الرؤية الحقيقية، فإنه ما غاب عن العالم وعن نفسه إلا برؤية الحق تعالى وفي نفس الأمر الرائي والمرئي واحد والتعدد اعتباري"[2].

وصفوة القول، أن نظرية التجلي عند الأمير عبد القادر الجزائري هي مفتاح معرفي وبراديغم عرفاني كبير يُفسر به كل اختلافات البشر، اختلافاتهم الأنتروبولوجية والعرقية والتاريخية والجغرافية والدينية والحضارية والثقافية، والتي ليست هي في الأخير إلا نتيجة متصلة بتعدد وتنوع الأسماء الإلهية من جهة ووحدة الذات من جهة أعلى.

- المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. مالك بن نبي، العفن مذكرات، ترجمة نور الدين خندودي، الجزء الأول، (1932-1940)، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2007م.
3. روجي غارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، دار عام الفين، باريس، 2000م.
4. مرسيا الياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج3، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى، 1986م.
5. برونو إتيان، عبد القادر الجزائري، ترجمة: المهندس ميشيل خوري، دار الفارابي ANEP، الطبعة الثانية، الجزائر، 2001 م.
6. الأمير عبد القادر، المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف، تحقيق: عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2005م.
7. الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق: عاصم الكيلاني، دار الكتب العلمية، 2004 م، 1425هـ.
8. ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت 1300هـ.
9. أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.
10. مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله، ج4، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1374هـ.
11. أحمد العايدي وآخرون، المعجم العربي الأساسي، طبعة لاروس، تونس (1419هـ-1999م).

[1] - المرجع نفسه، ج 1، ص 335.
[2] - المرجع السابق، ج 1 ص 76.

12.عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، عوارف المعارف ملحق بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ج5، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، هـ1407/1987م.
13.أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
14.أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، قدم له وحققه: محمود أمين النواوي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ، 1992م.
15.أبو القاسم القشيري، أربع رسائل مخطوطات نادرة في التصوف، تحقيق: د. قاسم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 16، 1969م.
16.عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة.
17.أحمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد الله العتم، عالم الكتب للطباعة والنشر، 2008م.
18.علي حرازم ابن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ج1، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية،1997م.
19.أبو حامد الغزالي، أحياء علوم الدين، بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
20. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلم، دندرة للطباعة والنشر، 1981م.
21. محمد غازي عرابي، النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط1، 1985م.
22. مرسيا الياد، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1988.
23.عبد السلام بنعبد العالي، الميتافيزيقا العلم والايدولوجيا، دار الطليعة بيروت.